من "أوراق" الرئيس (51) :

الجليد .. يذوب: بين موسكو والقاهرة!

ولــم أجـــــدِ
لـي مكـــانـا
فى أية مؤسسة صحفية !

لا يـزال الـرئيس السـادات يتوجـه بهـذه الصـفحات المبكـرة مـن "أوراق" حياتـه إلـى الشباب.. ولذلك كان بعيدا عن تفاصيل السياسـة المصـرية .. وحريصـا علـى المعنـى والعبـرة والموعظة الحسنة .. وهو يعرف بتجاربه الكثيرة المريرة ، أن الشباب فـى حاجـة دائمـة إلـى من يكون قريبا منه .. إلى من يحدثه عن نفسه ، وعن أناس فـى مثـل سـنه وظروفـه ومتاعبـه فى مستهل حياته .. أى عندما تكون آمـال طويلـة عريضـة ، ولكنـه عـاجز عـن عمـل شـئ أو تحقيق شئ .. فيداخله اليأس ، ويدفعه اليـأس إلـى الانـزواء مختصـراً الطريـق الطويـل الشـاق الذى أمامه .. إلا الرئيس السـادات وأصـحاب المواهـب الفريـدة فـى التـاريخ .. فإنـه لا يعـرف اليـأس . ولا يعـرف الانـزواء . ولا يتوقـف عنـد شـئ مهمـا وضـعت الحيـاة فـى طريقـه مـن مصـاعب .. ومهما خلت يداه من وظيفة ، فإن عقله لا يخلو من الإيمان .. ط

إن الشارع السياسى قد التوى تحت قدميه ، ولكنه مضى مستقيما قويا .. وتمدد بجسـمه على الأرض الباردة فى السجون والمعتقلات ، ولكنه أيقن أن هذا امتحان لمعدنه .. ونجح فى الامتحـان ..

وقبل أن يكون رئيسا لمصر بعشرين عاما ، كان يعد القروش التى فى جيبه .. ويسجل تناقصها قرشا كل يوم .. حتى أصبحت أربعين قرشا .. وكان زوجا وله بيت وله أثاث وغير قادر على أن يعيش كخلق الله .. ولو أراد التجارة لا ننتح عليـه بـاب الـرزق إلـى غيـر حد .. ولكنه نذر نفسه لمصر ، ووسيلته فى ذلك السياسة .. والخدمة العامة .. والقضية الوطنية ولا شئ غير ذلك ..

وشاءت إرادة الله أن يختار طريقاً ، كان قد اختاره قبل ذلك ..

إنها إذن إرادة الله – ولكن إرادة الله كالريح التى تملأ شراع السفينة المتحركة ، وليست السفينة الرأسية أو الجانحة إلى الشاطئ ..

ولذلك فعلى الشباب أن يعلموا وأن يجدوا ، ولتكن إرادة الله وحكمته بعد ذلك ..

فلا خوف على الذى يعمل ، ولا على الذى لا يفقد الأمل والإيمان ..

لو عدت بذاكرتي إلى ما كانت عليه حالتي فى سنة 1949 حتى يوم 10 يناير سنة 1950 ، لوجدت شيئاً لا يصدقه العقل . ولكنها إرادة الله فوق كل إرادة ، وحكمته فوق كل تدبير .. وصدقت الكلمة المأثورة التى تقول : يدبر المدبرون والقضاء يضحك !

إن الإنسان يدبر ولكن قضاء الله وقدرة قد أعد لنا شيئا آخر !

من الذى يستطيع أن يتصور أن هذا الشاب الذى كان مفلسا تماما سوف يكون رئيسا لجمهورية مصر بعد عشرين عاما . ثم يختار له القدر مصيرا لا يخطر له أو لأحد على بال. أن يشارك فى ثورة يوليو 52 وأن يقوم بالثورة عليها فى 15 مايو سنة 1971 وأن يتحقق له وعلى يديه وبفضل التضامن العربى ، أعظم انتصارات الأمة العربية .. وأن يجنب أبناء مصر كل أنواع الذل والظلم والهوان والفزع الذى عاش به وثار عليه طول عمره فيلغى المعتقلات ويؤمن الناس من الناس فلا يخافون . وأن يجعل القانون سيد الجميع . وأن تكون الحرية هواء للجميع . وأن يختلف الناس فى رأيهم ويحميهم القانون . فليست الديمقراطية هى الرأي الواحد والحاكم الواحد . وإنما الديمقراطية حياة لكل الناس ، وحكم للشعب بالشعب .

وقد تجاوزت عن الهوان والمهانة الشخصية ، من أجل مصر .. وعندما حاولت دولة عظمى أن تقيد الإدارة المصرية ، لأي سبب ، كان طرد الخبراء السوفيت ..

وعندما ارتكبت مصر فى قرارها سنة 1948 ضد اليهود وقرارها سنة 1967 ضدهم أيضا ، جاءت حرب 1973 نموذجا دقيقا للإعداد والاستعداد والتمويه العلمى واستخداما رائعا لأحدث الأسلحة ..

إن أحدا لا يصدق ما حدث فى العشرين عاما حتى سنة 1970 ..

ففي سنة 1949 كنت قد تزوجت . وكنت أقيم فى بيت زوجتي . وكنت قد اشتغلت بالأعمال الحرة . وكان من الممكن أن أكسب الكثير لو مضيت فيها . ولكن شيئا فى داخلي ينكر على أن أشتغل تاجرا . فهدفي وأملى وحياتي ومماتي من أجل السياسة . فقد اتجهت إليها صغيرا . واليوم أقول أنني لم أتجه ، ولكن إرادة الله وجهتني .. صدق الله العظيم " وما

رميت إذ رميت ولكن الله رمى " . فقد كانت حكمته تقلبنى فى النار وفى الظلم والظلام لكي يقوى عودي ويشتد . ولكي تنضج قدراتي هذا ما أستطيع أن أقوله اليوم . ولكن فى ذلك الوقت كنت تعيسا معذبا . لا أعرف ما الذى أفعله : فقد كان أثاث بيتي عند النجار . وكان يهددني بأنني إذا لم أحمله وأنقله إلى البيت فسوف أدفع إيجارا لذلك أو سوف يبيعه .

** وأذكر أنني اكتشفت فجأة وبصورة مروعة أن كل ما فى جيبي هو مائه وعشرون قرشا . أنني أتكلم عن أواخر سنة 1949 . وكان مصدر عذابي ليس هذا المبلغ الضئيل فقط . ولكن أن أجد نفسي بلا عمل .. أو أن أجد نفسي بلا هدف .. ولم أكن تاجرا . ولا أعددت نفسي لأن أكون كذلك .. وأقول الآن : إن الله لم يشأ أن أكون تاجرا يبيع ويشترى ويكسب ..

وكنت مطالبا فى ذلك الوقت بأن أبحث لي عن عمل .. ولا أعرف ما الذى أستطيع أن أعمله .. وكل ما أقدر عليه فى ذلك الوقت هو أن أرتدي ملابسي بسرعة . وأخرج من البيت بسرعة . والذى يراني هكذا يخيل إليه أنني أريد أن ألحق مواعيد العمل .. أو أريد أن ألحق الأتوبيس . والحقيقة إنه لا شئ من ذلك . وإنما أنا أوهم نفسي وغيري . وقد أنجح فى إيهام غيري ، أما إيهام نفسي فيكف ؟ !

وكنت – استمرارا فى هذا الإيهام المزدوج – أذهب إلى كازينو بجوار كوبري الجيزة. وأجلس . ثم أنهض بنشاط وأتحدث فى التليفون وأدفع القرش ثمن المكالمة . وبعد المكالمة أقول لنفسي أصبح الذى فى جيبي الآن : 119 قرشا – ثم 118 قرشا .. إلى نهاية العد التنازلي .. وكلما نقص المبلغ الزهيد الذى فى جيبي ، أحسست أن قلبي هو الآخر ينزل فى قدمي .. ولكن شيئا فى داخلي يقول : أصبر .. سوف تفرج .. أو أردد القول المأثور : اشتدي أزمة تنفرجي – أى كلما اشتدت الأزمة وأحكمت حلقاتها الخانقة ، انفرجت بإذن الله .. هذه المعاني التى تتردد فى أعماقي ، تؤكد أيماني بالله ، وأيماني بأن الفرج قريب . !

** وخطر لي أن أشتغل بالصحافة . فقد كنت صحفيا . والصحافة قريبة من نفسي .. فهي اشتغال بالسياسة أو اقتراب من ذلك . وهى صناعة التعبير عن الناس والتأثير فيهم .

ثم إن عندي ما أقوله . فقد كنت معروفا فى ذلك الوقت . فقد شاركت فى قضية أمين عثمان ، كما هو معروف . وكتبت الصحف عنى الكثير . وعندي مذكرات وذكريات . ثم إن صناعتي هى الكتابة أو الخطابة .. أى صناعتي الكلام ..

وذهبت إلى صديقى إحسان عبد القدوس فى روز اليوسف ، وكان الكاتب السياسى الأول فى مصر فى ذلك الوقت . وقلت له : يا إحسان ..

قال : نعم ..

قلت له : أريد أن أعمل فى روز اليوسف .

وكان رده أن روز اليوسف لا تتسع لنا نحن الاثنين .. أى أنه لا مكان لي فى روز اليوسف .

وسألته إن كان من المكن أن أعمل فى الأهرام وطلبت إليه أن يتصل بكامل الشناوى – الله يرحمه – كان نجم الصالونات السياسية فى ذلك الوقت . واتصل به إحسان عبد القدوس واعتذر كامل الشناوى بأنه لا مكان لي فى جريدة الأهرام ..

وذهبت إلى دار الهلال أسأل إن كان من الممكن أن أعمل فيها أيضا . وقابلت شكرى زيدان أحد صاحبي دار الهلال ورئيس تحرير المصور . وقال لي الرجل إنه على استعداد لأن أعمال فى المصور . وأخبرني إنه فى دار الهلال لا يوجد سوى كاتب كبير هو فكرى باشا أباظة ، وأنه فى حاجة إلى أكون إلى جواره . وطلب منى أن أكتب وكتبت مذكراتي وقدتها له . ثم طلب منى أن أقوم بتفصيل بعض النقط التى جاءت فى مذكراتي . وأبديت استعدادي لذلك . ولكنه طلب منى أن أجلس وأن أكتب فورا قبل مثول المصور للطبع . وكان ذلك يوم الاثنين . ومن عادتهم أن يطبعوا المصور بعد ظهر ذلك اليوم . وبعد عن يجلس معى وأنا أكتب . وبعد نصف ساعة فرغت من طلب منى . وسألت عن شكرى زيدان فقيل لي إنه فى انتظاري .

ولم أدرك أنه كان يختبرني ليعرف أن كنت أنا الذى أكتب . وأن كنت أستطيع أن أكتب بالسرعة المطلوب ودون أن يراجع ذلك أحد من الناس .

وتأكد لديه كل ما كان يريد أن يعرفه . ثم بدأ يتحدث معى عن المكافأة . ودار الهلال فى ذلك الوقت كانت تتعامل بالقطعة . وفهمت فى ذلك الوقت إنها يربطون ميزانيتهم فى ديسمبر . وبعد هذا الشهر لا يعينون أحدا .. وقد جئت بعد الوقت المحدد . ولم يعجبني ما عرضوه على . وعددت الفلوس التى فى جيبى فوجدتهم خمسين قرشا . ومطلوب منى أن أنفق على البيت وادفع إيجار الشقة وآتى بأثاث البيت .. وقد انسدت فى وجهى كل أبواب العمل أو الأمل فى عمل .

وأن كان باب العمارة الحرة مفتوحا على مصراعيه ولكن المسدودة هى نفسي التى لم يخلقها الله لمثل هذا الطريق . وإنما طريق مختلف . ونهايتي بعد عشرين عاما كما رسمها الله واضح جدا إنها مختلفة إلى أبعد حد ..

** إذن لم يبقى أمامي إلا أن أحاول دخول الجيش .

ذهبت إلى د. يوسف رشاد الذى كان طبيباً للملك فاروق بعد ذلك . وعرضت عليه رغبتي وأملى فى أن أعود إلى مكاني .

وأتصل د. يوسف رشاد بحيدر باشا وكانت الانتخابات العامة قد أجريت فى نهاية سنة 1949 وظهرت فى الأسبوع الأول من يناير سنة 1950 . وكان حسين سرى باشا رئيسا للوزراء. وبقيت بعض الإعادة . وإذا بالملك يأتى بحسين سرى باشا رئيسا للديوان . ليكون عازلا بينه وبين حكومة الوفد التى جاءت قبل ذلك بالدبابات – أو جاءت بها الدبابات عاراً على العرش وعلى الشعب وعلى السياسة الحزبية فى مصر . وكان الوفد فى ذلك الوقت قد راح يقدم للملك تنازلات متوالية وبنفس القدر كان الوفد ينزل يسقط من عيون الشعب .

ولم تكن هذه الأغلبية الساحقة .. حبا فى مصطفى النحاس ولكن كراهية فى فاروق . وكراهية فى السعديين .

ولكن فى نظرنا نحن الشباب الوطني – فقد انتهى الوفد والملك إلى غير رجعة ..

وتحدد يوم 10 يناير سنة 1950 لمقابلة محمد حيدر باشا وزير الحربية .. ودخلت نفس مكتب السكرتير الذى ذهبت إليه قبل ذلك معتقلا فى سنة 1940 على أثر سقوط طائرة عزيز باشا المصرى . وجاء حيدر باشا وهو مشهور بأنه رجل عنيف وإنه لا يبتسم أبدا . ورآني وسألني عن أسمى وقال لي : أنت ولد مجرم .. ولابد أن تاريخك أسود .

وكنت أقول له : يا معالي الباشا اسمح لي أشرح لمعاليك .

ويقول : اسكت . ولا كلمة !

- اشرح لمعاليك .

- اسكت .

وفجأة ، ولن أنسي هذه اللحظة طول عمري ، نادى كاتم الأسرار .. واسمه رياض : يا رياض ..

- أفندم .

- الولد ده .

- يعود إلى الجيش ..

** بل يعود إلى الحياة .. لقد ردت إلى الروح .. سمكة وألقيت فى الماء .. عود قطن وأعيد غرسه فى الحقل .. ميت دبت فيه الحياة ، مفلس امتلأت جيوبه بالمال ، وقلبه بالأمل ، ورأسه بالكبرياء !

والقدر هنا له دور : فلو كان الوفد قد جاء إلى السلطة ، ما دخلت الجيش ..

ولكن تشاء إرادة الله أن تجرى الإعادة فى سبعين دائرة انتخابية وأن يظل حيدر باشا وزيرا للحربية .. وأن أذهب إليه وأن يصدر أمرا بعودتي . أنني لا أحقد على الوفد أو على أحد . فليس الحقد فى طبعي . فقد أعطاني الله وشكرا .. وأكرمني الله والحمد لله ..

ولكنها "تصاريف" القدر – كما يقول الصوفية .. وعدت إلى الجيش برتبة يوزباشى . ولكن ليست عندي بدله . ولم أجد إلا واحدا من الضباط الأحرار كنت أسكن فى بيته . وكان فى الشقة التى تحتي . وطلبت منه بدله سلفة . وبعث بالبدلة وتشاء المصادفة أن يكون هو أيضا برتبة يوزباشى . صاحب هذه البدلة هو مصطفى كامل مرا . أما الفلوس التى فى جيبي قد نزلت إلى أربعين قرشا .. وكان من المستحيل فى ذلك الوقت أو فى أى وقت ، أن أفصل بدلة بأربعين قرشا .

وفى ذلك الوقت كان مصطفى السمرى يبنى عمارة إلى جوارنا . ووجدت فيها شقة جديدة . وانتقلت إليها . ولكن الأثاث لم يأت بعد . ويجئ جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ولم أكن أعرف عبد الحكيم وإنما جمال عبد الناصر أعرفه من 19 عاما . وكان عبد الحكيم عامر من الدفعة التى تليني والتى لم أرها فى الجيش ولا فى الكلية الحربية .

وقال لي جمال عبد الناصر : يا أنور .

- نعم .. هذا عبد الحكيم عامر .

- أهلا وسهلا ..

- اسمع أنت ستدخل امتحانات الترقي . وعليك أن تبلغنا بموعد الامتحانات . فالضباط الأحرار هم المسئولون عن الامتحانات وعن تصحيحها وعن كل شئ وليس عليك إلا أن تحضر وتكتب أى كلام !

وبالفعل حضرت الامتحان وكتبت ما استطعت . ولكنهم سحبوا أوراقي ووضعوا أوراقا أخرى عليها الإجابات الصحيحة . فلم يكن ممكنا أن أجيب عن هذه الأسئلة . وخصوصا أن تطورات هائلة فى سلاح الإشارة الذى يعتمد على الإلكترونات تنشر يوما بعد يوم .. ولو غاب الإنسان ستة شهور عن الجيش لوجد تطورات لا تخطر له على بال .. وسلاحى هو سلاح الإشارة ولا أدعى أنني أثناء غيابي عن الجيش قد تابعت لتكنولوجيا الحديثة .. وإنما كنت أتابع ، أو محروما من متابعة الأحداث السياسية ..

ولو تركوني لكي استوعب التطورات الإلكترونية لاحتجت إلى عشر سنوات أخرى ..

** وكان هذا اللقاء وهذه الامتحانات تعديلا لمساري العسكرى . وكل ما قاله جمال عبد الناصر فى ذلك الوقت : يا أنور نحن مسيطرون تماماً بالضباط الأحرار على كل شئ .. والمشوار الذى ابتدأته أنت نحن ماضون فيه .. ونصيحتي لك ألا تقوم بأي نشاط سياسي ظاهر .. لأن هناك عيونا كثيرة سوف تراقبك .. وليس من المصلحة أن يراقبوا حركاتك .. فنحن فى المراحل الأخيرة للثورة !

*****

ومن أهم الأحداث الخطيرة فى ذلك الوقت إلغاء معاهدة 1936 فقد أعلن الوفد ذلك فى 9 أكتوبر سنة 1951 .

وفى نفس الوقت أعلنت السفارة البريطانية فى القاهرة أن الإلغاء جاء من طرف واحد.

وأعلن تشرشل زعيم المعارضة تأييده لحكومة العمال . وقال أن سحب القوات البريطانية من مصر لا يقل خطورة عن سحبها من إيران ..

ولكن رد فعل إلغاء المعاهدة عند الشعب كان هائلا . وموقف بريطانيا كان صدمة للناس .

ومن الفرحة بإلغاء المعاهدة والضيق بعناد الإنجليز تولدت شرارة الحماس الوطني عند العمال الذين يشتغلون فى المعسكرات البريطانية وعند التجار والمتعهدين وعمال الشحن والتفريغ .. فكان الإضراب العام عن التعاون مع البريطانيين ..

وفى أكتوبر كانت أولى معارك الإسماعيلية ضد قوات الاحتلال . وانتقلت أصداء هذه المعركة إلى بورسعيد . وارتكب الإنجليز غلطة عندما قامت قوة منهم باحتلال كوبري الفردان الذى كان فى حماية الجيش المصرى وقتلوا اثنين من الجنود المصريين . وكان هذا

الكوبري هو الرابطة بين الانتقال من الدلتا إلى سيناء وتمر عليه القطارات المتجهة إلى العريش ..

ثم احتل الإنجليز جمرك السويس . وعزلوا بعد ذلك منطقة القناة كلها .. وتفاقمت الأحداث ضد الإنجليز وضد العرش فى نفس الوقت . وأحس الناس أن حكومة الأغلبية التى ألغت المعاهدة لم تدخل فى اعتبارها أشياء كثيرة . من بينها : ما الذى يمكن أن تفعله بعد الإلغاء فى مواجهة الإنجليز أو فى مساندة الشعب أو ضبط غضبه !

وعادت المعارك الدموية إلى الإسماعيلية فى نوفمبر سنة 1951 .

وفى ديسمبر كانت معركة السويس . أولى وكبرى معاركه .

وعاد الإنجليز يضربون مبنى محافظة الإسماعيلية بالمدافع ويهددون بالزحف على القاهرة . وغضب الشعب وقامت مظاهرات فى القاهرة والإسكندرية .

لقد أصبح الشعب كله ثائرا على الإنجليز . وضد الوفد أيضاً .

ومنعت الحكومة المظاهرات وأغلقت المدارس والمعاهد . ولكن الدم يغلى فى قلوب الناس .. إن شيئا أكبر من الأحداث قد بدأ ينتشر . واتحد الناس وذابت أفكارهم ثم تبلورت فى غضبة واحدة : ضد الاستعمار وأعوان الاستعمار – والذين آتى بهم الاستعمار على دباباته !

ولم يكن غريبا أن تنتشر المظاهرات فى أواخر سنة 1951 ضد فاروق أيضا ، فى الشوارع وفى الجامعة . وكان ذلك واضحا وبارزا ولأول مرة ..

** وقد سجل المؤرخون أن المظاهرات التى تجاهر بالعداء لفاروق ، كانت جديدة على مصر . ولذلك لم يذهب الناس بعيدا عندما تأكد لديهم أن هذه هى النهاية . فقد سقطت هيبة الملك . وافتضح أمره ولم يعد أحد يكن له حبا أو احتراما ، ولا لأحد من الذين يتولون الحكم فى مصر .. وأدرك الناس أن السفينة قد انقطعت كل الحبال التى تربطها بالشاطئ .. وأكثر من ذلك أن أشرعة السفينة قد أفلتت حبالها أيضا .. وأن الموج تحت السفينة والعواصف حولها ، تهزها بعنف . ولا أحد يعرف أين النجاة ولا كيف ولا متى ؟ ولكننا كنا نعرف أين ومتى وكيف ؟ !

وفى ذلك الوقت أعلنت الحكومة البريطانية على لسان قائد قواتها فى مصر واسمه بريان روبرتسون : أنهم باقون ، وأن شيئا مما يجرى فى شوارع مصر أو وراء كواليسها ، لن يرهبهم !

واشتعل القتال فى يناير 1952 فى مدينة السويس .. وبعد السويس معارك فى التل الكبير . وأحس الناس ، أن الإنجليز سوف يحاربون إلى أبعد من ذلك كالهجوم على القاهرة .. ولكن لم يذهبوا إلى أبعد من ذلك ، خوفا من أن ينقلب الأمر تماما . وتكون ثورة شعبية ضد الاحتلال البريطاني .. فالإنجليز – على طريقتهم – يتدخلون ولكن يحتفظون بباب للتراجع ..

ولم يكن الشعب فى حاجة إلى أن يرى صورة أخرى أو امتدادا للملك فاروق ، ولذلك قد ضج الناس سخطا وغضبا عندما عرفوا أن فاروق قد رزق بولى للعهد هو الأمير فؤاد الثانى من زوجته الثانية ناريمان صادق . وكان هذا الميلاد التعيس مبرر لمظاهرات جديدة فلا هم يريدون فؤاد الأول ولا فؤاد الثانى ولا هم أصبحوا فى حاجة إلى فاروق الأول والأخير !

ولا ذنب لهذا المولود فيما حدث بعد ذلك . وإنما ميلاده كان نهاية لأبيه وبداية للشعب .. وكان شؤما على أبيه وكل أسرته !

وتوالت المظاهرات ضد فاروق ومولوده الجديد .. وضد هذه الأسرة كلها . وضد أعوانها من الإنجليز ، ومن صنائع الإنجليز الذين أراقوا الدماء وهدموا البيوت فى القناة ويتوعدون بالزحف على العاصمة ..

وقد واجه الشعب الإنجليزي ، بأعمال فدائية بطولية . وحاولت الحكومة الوفدية أن تحتوى هذه الأعمال الفدائية ، ولكنها لم تفلح . فقد أفلت الزمام من يد أى أحد فى الحكومة أو فى السراي أو فى الشارع السياسى ..

وفى 25 يناير وقعت مذابح فى مدينة الإسماعيلية .. فقد اعتدى الإنجليز على المواطنين بوحشيه . ولم يبق أمام الشعب إلا أن يرد على كل السلطات : إنجليزية ومصرية.. وإلا أن يبلغ الغضب أقسى وأقصى درجاته فأحرقوا القاهرة .. إلى آخر التفاصيل الدموية الملتهبة التى نعرفها وسجلها التاريخ لنا وعلينا : يوم السبت 26 يناير سنة 1952 ..

وقبل حريق القاهرة بساعات امتنع عمال مطار القاهرة عن تفريغ أو شحن الطائرات البريطانية .. ولكن أرغموا على العدول عن ذلك .. وغير أن آخرين فى كل المواقع قد استأنفوا العنف والاحتجاج على كل شئ فى مصر !

وفى هذا اليوم كان الملك فاروق قد عاد إلى قصر عابدين كبار ضباط الشرطة والجيش إلى مأدبة غداء ليقدم لهم جميعاً ولى العهد فؤاد الثانى البالغ من العمر عشرة أيام .. قائلا لهم : أهدى إليكم ولدنا وولى عهدنا فؤاد الثانى .

وتناهت إلى الملك أصوات الغضب ودخان السخط ونيران الثورة . ولكنه لم يشأ أن يتحرك . أو يفض المأدبة أو يأذن للضباط أن يعودوا إلى مواقعهم ليساهموا فى إخماد النار فى كل مكان .. فهو لم يتصور أن الذى حدث من الفداحة ومن الخطورة عليه وعلى ولده هذا لدرجة تجعله ينصرف عن الغداء أو عن الحفاوة بالمولود الجديد ..

أما وزير داخلية الوفد وسكرتيره فى ذلك الوقت فلم يعبأ هو أيضاً بشيء من ذلك .. ولا ذهب إلى مكتبه مبكرا .. ولا حتى تأخر عن تسجيله لشراء عمارة واحد اسمه توفيق عريضة بمبلغ ثمانين ألفا من الجنيهات فى ذلك اليوم ..

وعلى المؤرخين – مرة أخرى – أن يستأنفوا الحكم في حريق القاهرة .. ليعرفوا من الذين كانوا : دخانها ولهيبها ومشعليها ومن الذين كانوا ضحاياها ..

ولكننا – نحن الضباط الأحرار – قد أدركنا الأحداث تنطلق بسرعة . وأن علينا أن نعدل عن خطط التى أكملناها تماما .. فلم يبقى إلا التنفيذ .. وكنا فى نفضنا أيدينا من كل هذه القوى المتضاربة فى مصر .

** ولا أرى مرة أخرى – أن نظرية المصادفة تفسير أحداث التاريخ – هى النظر النموذجية .. لأنه ليست كل أحداث التاريخ له مصادفة لأن هذا يلغى الإرادة الإنسانية ولكن الإرادة الإنسانية نفسها لا تغنى عن إرادة الله وتقديره وتدبيره .. آمنت بالله الذى جعل شابا بلا عمل ولا أمل وليس فى جيبه إلا قروش ، وقد ضاقت وانسدت فى وجهه كل الأبواب يصبح حاكما على مصر بعد عشرين عاما .. وثائرا على ثورتها مرة أخرى ..